

# تزكية النفوس طريق الفلاح ☐☐ كيف يصنع المنهج القرآني الإنسان المتوازن؟



الخميس 16 أبريل 2026 08:00 م

تظل تزكية النفوس من أعظم القضايا التي اعتنى بها الإسلام، لأنها تتصل مباشرة ببناء الإنسان من داخله، وتحدد علاقته بربه وبنفسه وبالناس من حوله ☐ وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة في آيات واضحة ربطت بين فلاح الإنسان وبين قدرته على تطهير نفسه من أسباب الانحراف والفساد، كما جاءت السنة النبوية لتجسد هذا المعنى في منهج عملي متكامل صنع جيلاً رباتياً حمل رسالة الإسلام إلى العالم ☐

وفي هذا السياق، يبرز ما كتبه د ☐ علي الصلابي حول تزكية باعتباره عرْضاً واضحاً لمعنى هذا المقصد العظيم، إذ يبين أن تزكية ليست جانباً تعديبياً منفصلاً عن الحياة، بل هي مشروع متكامل يشمل العقل والروح والجسد، ويهدف إلى إعداد المسلم إعداداً متوازناً يثمر صلاحاً في الفرد، وقوة في المجتمع، وثباتاً على الحق في مواجهة الانحرافات والشهوات والشبهات ☐

## التزكية مقصد قرآني ونبوي عظيم

ينطلق د ☐ علي الصلابي من حقيقة مركزية في بناء الإسلام للإنسان، وهي أن تزكية النفوس ليست أمراً ثانوياً أو تكميلياً، بل هي منتهى غايات القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ☐ فالإسلام لم يأت فقط لتنظيم المعاملات أو ضبط الأحكام، وإنما جاء قبل ذلك ليغرس العقيدة الصحيحة والقيم السامية والأخلاق الفاضلة في النفوس، حتى يصبح الإنسان مؤهلاً لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض على بصيرة واستقامة ☐

ويستند هذا المعنى إلى دلالة قرآنية قوية حين أقسم الله تعالى بالشمس والقمر والليل والنهار والسماء والأرض والنفس، ثم ربط الفلاح بمن زكى نفسه والخسران بمن دساها ☐ وهذا القسم القرآني المطول يكشف بوضوح أن تزكية النفس ليست مسألة وعظية عابرة، بل هي قضية مصيرية يتوقف عليها نجاح الإنسان في الدنيا والآخرة ☐ كما أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم نفسها ارتبطت بهذا المعنى، قال تعالى: (هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ)، بما يؤكد أن تزكية كانت في صلب الرسالة النبوية ☐

ومن هنا يؤكد الكاتب أن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم تمثل أعظم رحلة دعوية في التاريخ البشري لتطهير النفوس من الكفر والشرك والنفاق، وتنقيتها من المعاصي والشهوات ومفاسد الأخلاق ☐ فلم يكن التغيير الذي أحدثه النبي صلى الله عليه وسلم مجرد تحول سياسي أو اجتماعي، بل كان أولاً تحولاً عميقاً في داخل الإنسان، نقل الناس من ظلمات الجاهلية إلى نور الإيمان، ومن اضطراب القيم إلى استقامة المنهج ☐

## التزكية العقلية ☐☐ تحرير الفكر من التقاليد والظن

يوضح د ☐ علي الصلابي أن المنهج النبوي في التزكية اتسم بالتوازن والشمول، لأنه تعامل مع جميع عناصر الإنسان، وفي مقدمتها العقل ☐ فالتزكية في الإسلام لا تعني تعطيل التفكير أو إلغاء النظر، بل تعني تحرير العقل من المسلمات المبنية على الظن والتخمين، ومن التبعية العمياء والتقليد الذي يحجب الإنسان عن رؤية الحق ☐

وفي هذا الإطار، يدعو المنهج القرآني إلى التحري والتثبت، وإلى التأمل في الكون وسنن الله في الخلق والتاريخ ☐ فالعقل المسلم لا ينمو في الفراغ، وإنما ينضج حين يتدبر في خلق الله، ويفهم الحكمة من التشريع، ويقرأ مسار الأمم والشعوب والدول قراءة واعية تجعله يعتبر بمن سبق، ويدرك أن السنن لا تحابي أحداً ☐ وهذا النضج العقلي يمنح المسلم القدرة على تطبيق شرع الله في حياته على بصيرة،

لأنه يدرك ما في هذا الشرع من سكينة وطمأنينة وسعادة للبشرية

وتكشف هذه الرؤية عن جانب مهم في البناء الإسلامي، وهو أن الإيمان الحق لا يقوم على الجهل، ولا على التسليم الأعمى، بل على عقل متحرر من الأوهام، مرتبط بالوحي، وقادر على النظر في العواقب والسنن ولذلك فإن التزكية العقلية ليست رفاهية فكرية، بل ضرورة دعوية وتربوية لحماية الإنسان من الانسياق وراء الباطل، ولإعداده ليكون ثابتاً في زمن الفتن والانحرافات

### التزكية الروحية صلة دائمة بالله ومركزية للآخرة

ويتوقف الكاتب عند جانب التزكية الروحية باعتباره الشرط الأساسي لتطهير النفوس، لأن الروح إذا صلحت انعكس أثرها على حياة الإنسان كلها وقد ربي النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على هذا المعنى من خلال ربطهم بالله تعالى ربطاً دائماً، وتعليمهم الطريق الذي يسمو بأرواحهم ويقوي صلتهم بربهم

وتبدأ هذه التزكية الروحية بالتدبر في كون الله ومخلوقاته، والتأمل في كتابه العزيز، حتى يمتلئ القلب بعظمة الخالق وحكمته وعلمه الشامل فحين يستقر في نفس المؤمن أن الله محيط بكل شيء علماً، وأنه سبحانه يعلم الغيب والشهادة، فإن ذلك يطهر النفس من الشكوك والأمراض، ويملأ القلب خشية وإنابة وصدقاً ثم تأتي العبادة باعتبارها من أعظم الوسائل التي تربى الروح وتزكي النفس، سواء في صورتها المفروضة من صلاة وصيام وزكاة وحج، أو في معناها الواسع الذي يشمل كل عمل يقصد به العبد وجه الله تعالى

ويؤكد د علي الصلابي كذلك أن من أهم وسائل التزكية الروحية تعزيز مركزية الآخرة في نفوس المؤمنين، بحيث تصبح هي الغاية الكبرى والشاغل الأهم للعقل والقلب وفي المقابل، يخف تعلق المسلم بالدنيا، فلا تستعبده شهواتها ولا تفتنه زينتها وهذا التوازن لا يعني ترك الدنيا أو إهمال عمرانها، بل يعني أن يكون القلب متعلقاً بالآخرة، وأن تكون الدنيا في يد المؤمن لا في قلبه

### التزكية الجسدية انضباط الشهوة وتوازن الحياة

ولا يقف المنهج الإسلامي عند حدود العقل والروح، بل يمتد إلى الجسد أيضاً، لأن الإنسان وحدة متكاملة، ولا يمكن أن تتحقق تزكياته ما لم ينتظم أمره في جميع جوانبه ومن هنا يبين الكاتب أن النبي صلى الله عليه وسلم حرص على تربية أصحابه جسدياً وفق هدي القرآن الكريم، بحيث يؤدي الجسد وظيفته من غير إسراف ولا تقتير، ومن غير أن تطغى حاجة على أخرى

وتظهر هذه التزكية الجسدية في ضبط حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب والملبس والمأوى، حتى لا تتحول المطالب الفطرية إلى أبواب للغفلة والانشغال المفرط بالدنيا كما تظهر في تنظيم حاجة الإنسان إلى الزواج والأسرة بإباحة النكاح وتحريم الفواحش والانحرافات، وفي ضبط حاجته إلى التملك والسيادة بإباحة المال والمناصب ضمن الضوابط الشرعية التي تمنع الظلم والعدوان والبغي كذلك ربط الإسلام حاجة الإنسان إلى العمل والنجاح بكون العمل مشروعاً وصالحاً وغير مضر بالناس، وربط القرآن الكريم بين الإيمان والعمل الصالح في مواضع كثيرة، حتى يصبح السعي في الدنيا جزءاً من عبودية الله لا باباً للفساد أو الطغيان

وهذا يبين أن الإسلام لا يريد من المسلم أن يهمل جسده، ولا أن يجعله سيّداً متحكماً في كل قراراته، وإنما يريد جسداً منضبطاً يؤدي وظيفته في خدمة الرسالة والعبودية والعمران وبهذا التوازن يحفظ الإنسان نفسه من الانحراف، ويحيا حياة مستقرة تجمع بين الطهارة والقوة والانضباط

### المنهج النبوي يصنع الشخصية الربانية المتوازنة

ويخلص د علي الصلابي إلى أن هذا المنهج الدعوي والتربوي العظيم في تزكية النفوس، كما تضمنه القرآن الكريم وسار عليه النبي صلى الله عليه وسلم، أثمر إعداد الشخصية الإسلامية الربانية المتوازنة فقد زكى الأرواح، ونور العقول، وحافظ على الأجساد، فخرجت أجيال صنعت تاريخاً عظيماً للأمة، وتمثلت فيها القدوة الصالحة في أوضح صورها

ولهذا لم يكن الخلفاء الراشدون والصحابة وفضلاء التابعين والأئمة والعلماء والقادة الذين عرفتهم الأمة نماذج معزولة عن هذا المنهج، بل كانوا ثمرة مباشرة له فقد جمعوا بين الإيمان والعمل، وبين العلم والعبادة، وبين القوة والعدل، وبين الغيرة على الدين وتحمل أمانة الأمة ومن هنا فإن استعادة معاني التزكية اليوم ليست ترفاً فكرياً، بل ضرورة دعوية وتربوية لإخراج جيل يعرف ربه، ويهذب نفسه، ويحسن فكره، ويقوم حياته على ميزان الشرع

وأخيراً فإن رسالة التزكية التي أبرزها د علي الصلابي تذكر الأمة بأن طريق الإصلاح يبدأ من الداخل، وأن صلاح المجتمعات لا يتحقق إلا بصلاح النفوس التي تحمل العقيدة الصحيحة، والفكر الراشد، والروح الحية، والسلوك المنضبط ولذلك فإن الدعوة إلى تزكية النفوس ليست موضوعاً هامشياً في الخطاب الإسلامي، بل هي أصل من أصول النهضة، ومدخل من مداخل استعادة الأمة لرسالتها ومكانتها